اسبوع رشدي العامل في المدى الثقافي

احتراماً لذكرى الشاعر رشدي العامل ومنجزه الثقافي والشعري خصصت ثقافة (المدى) اسبوعاً كاملاً للاحتفاء به وسيكون هذا الاحتفاء لا عن طريق (كتابات تأتي وتذهب) بل عن طريق الشاعر نفسه، رسائله، مذكراته قصائده غير المنشورة وحواراته مع الذات والاخرين، وسيكون للقراء كل يوم حصة مفعمة بالشعر والذكريات من رشدي الشاعر والاب والانسان.

مرافئي البعيدة أطفأت انوارها.. وانصرف الملاحون الى عبثهم

ثلاث رسائل قصيرة من رشدي العامل

محمد سعيد الصكار

التفاتة كريمة من (المدى) تخصيصها أسبوعاً للاحتفاء بالشاعر المبدع الكبير رشدي العامل الذي عاش وغادر دنيانا نقياً مرهفاً، عالي الصوت، عفيف النفس، صادق النبرة، واضح الموقف (لا يحسن سوى الحزن) كما يقول في رسالته التي بعث بها إليّ في ١٧/ ١/ ١٩٦٨ وقد سبق لي ان نشرت في (المدى) رسالتين من رسائله وهذه ثلاث رسائل منه إليّ، تفصح عن حالته ومزاجه، مؤملاً ان تكمل (المدى) مشروعها التكريمي هذا بجمع ما ينتج من هذا التكريم من مقالات وشهادات وافكار، ما سينشر بهذه المناسبة وما نشر قبلها (كما نشره عنه الفقيد مهدي عيسى الصقر) وتنشره في كتاب يتيح للباحث ان يقف على صورة من حياة هذا الانسان الفذ، علماً ان للذكريات الشخصية معه قيمة اضافية لهذا المشروع.

وهذه رسالته في ١٧/١/ ١٩٦٨:

عزيزي محمد ابو عيون جريئة..!
تحية طيبة
ها أنذا أبر بوعدي فأبعث اليك بهذه القصيدة المتعبة قليلاً، والحزينة جداً.. وانت ترى أنني لا احسن سوى الحزن، فهو الغذاء اليومي لأخيك المتوحد!
ليلة لقائنا الاخير كانت ممتعة، وقد اوشكت ان اكون سعيداً بلقاء أصدقاء أعزاء طال اغترابهم لولا رائحة الغليون اللعين، احياناً لا أطيق الكلمات التي تخرج من بين الاسنان، مهما كانت جودة المعجون الذي غُسلت به!
ستقول لي، ها لقد عدت إلى لعبك القديمة أيها اللعين.. اجل إنني أعود، كالطفل الى لعبه المفضلة خاصة اذا كانت لعباً جادة تصلح للكبار!
تحياتي لمهدي الصقر، ولعنة الله على روح محمود عبد الوهاب الطاهرة.. واسلم لأخيك.

رشدي

١٩٦٨/١/٧
عنواني: بنك الاعتماد

الشاعر مع محمد سعيد الصكار

إيضاح مني:

اللقاء الذي يشير إليه رشدي في هذه الرسالة، كان يوم ٦٨/١/٣ في بيت الصديق فائق بطي في الكرادة احتفاءاً بمجيء بلند الحيدري من بيروت. وكان مجلس شراب، وكان من بين الحاضرين، حسين مردان وخالد السلام وصالح سلمان وصادق الصائغ وخالد الحلي ورشدي وانا الذي جئت من البصرة لهذه المناسبة.
دارت مناقشة بين رشدي وبلند حول عدم نشر ديوان رشدي، قال بلند ان كل الكتب التي تصدر عن المكتبة العصرية يجب ان يدفع مؤلفها مبلغاً ما كضمان لتغطية نفقات الطبع في حالة خسارة الكتاب. ولم يكن رشدي قد دفع شيئاً من ذلك وكان يقول :"أنا أريد فلوس عليه". بلند وصالح كانا يدخنان الغليون، بلند في بيروت وصالح في الكويت.

في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٠:

ايها العزيز ابو ريا.. تحية حارة رسالتك الاخيرة، على نعومة خطها وجماله، اشعرتني انها صادرة من دائرة رسمية، او على حد تعبير أبي زينب، هي إعلان جميل عن مجلتك المنتظرة، تحوي كل شيء إلا عواطف كاتبها وروحه.. ماذا دهاك يا رجل، أفتظن- وكل الظن اثم وليس بعضه فقط –اني سأتمايل طرباً لهذه الصيغ الاعلانية؟ أنسيت اني ما أزال احيا بروح شاعر، وأظنني سأبقى هكذا ابداً. قاتلك الله وأسكنك فسيح جناته.
كيف حال ذلك الطائر المهاجر (يقصد سعدي يوسف) تحياتي له.
قرأت قصيدة أقل قليلاً من بائسة للشاعر المخضرم الاستاذ بلند. لقد كتب مرة انه سيكف عن كتابة الشعر، فلماذا لم يف بوعده أمام الناس؟
ماذا بشأن دعوتي لزيارة السيدة باريس؟ وكيف حال العزيز ادونيس وجليل العطية والآخرين؟
سأمضي فترة في الشمال، في نهاية هذا الشهر، فلديّ دعوات لأماسٍ شعرية في السليمانية واربيل ودهوك ساحاول أن اختمها في التسكع بين مصيفي سرسنك والسولاف، هذا اقصى ما أقدر عليه يا حبيبي. اما انتم فلكم شواطئ الرفييرا وسفوح الألب ومغاني باريس وروما. وتلك قسمة ظيزى وزعها علينا سبحانه وتعالى.
انتظر منك رسالة خالية من الروح الاعلانية يا "بشت".

مع حبي
رشدي

تعقيب:

❖الرسالة التي يشير إليها لم تكن رسالة شخصية إليه، وانما اعلاناً عن مجلة كنت انوي اصدارها عن الخط العربي.
❖ابو زينب هو صديقنا محمد علي السامرائي، وزينب زميلة ابنتي رياً في مدرسة الموسيقى والباليه ببغداد.
❖ بذلت مساعي حثيثة ومتواصلة لدعوته الى باريس، ولكن وضعي المالي المتواضع لم يقنع السلطات الفرنسية بكفاءتي لاستضافته فرفضت ذلك.
❖ اما اشارته الى الريفييرا وسفوح الألب وروما، فأنا لم ارها الى هذا اليوم (٢٠٠٧)، أي بعد ١٦ سنة من تاريخ رسالته هذه، وبعد مرور اكثر من ربع قرن على وجودي في فرنسا وتلك مسألة دقيقة يتوهمها اصدقاؤنا حين يتصورون ان وجودنا في بلد كفرنسا هو نوع من الجنة التي نستطيع التمتع بها متى وكيفما شئنا، دون النظر الى مشاغل العيش وهموم الحياة.

وهذه رسالة حملها إليّ الاخ عيسى مخلوف منه:

ماذا تريد ان اخبرك عني؟
ظهيرة هذا اليوم قلبتُ محض صدفة، اوراقي بحثاً عن مقالة ما.. فإذا باسمك الجميل "يصنكر" امام عيوني، عليك اللعنة! كنتَ تتحدث عن "المرفأ" ذلك "الكائن" الاسطوري الذي عاشته جوانحنا المتعبة ورؤانا المستحيلة.
بودي ان نظل معاً، عبر الحروف اذا لم يكن عبر العيون المطفأة.
ما يزال الشعر رفيقي الدائم – إطمئن- وما تزال في العروق ينابيع منه..
رسالة عاجلة، بلا شك، سيحدثك عنها الاخ عيسى، انا في شبه عزلة اختيارية، فلقد رست مراكبي أخيراً.. لا انتظر شيئاً، ولا أتطلع الى شيء.. مرافئي البعيدة أطفأت انوارها.. وانصرف الملاحون إلى عبثهم.. انتظر رسالة منك..
أباركك وألعنك وبالعكس.

رشدي
١٩٨٥/١١/٢٩

يوميات الشاعر

١٩٧٨-١٩٨٠

لا تكمن المأساة في ان الانسان يحيا بل.. يفكر

١٩٧٨/١/١

قبل عشر دقائق انتهى العام، لم يك يحمل زوادة رحلة ما..
اوقدت الشموع، وجلست وحيداً
حاولت ان اكتب شيئاً. لم استطع.. تذكرت انني على موعد عام ٢٠٠٠ مع سعدي. قبل سنوات كنا نجلس معاً، كنا رفاقاً واصدقاء.. قطعنا مع بعضنا وعداً ان نلتقي عام ٢٠٠٠،
كانت الاسئلة اكبر منا، وكنا.. على الاقل، اكثر ايماناً، اكثر رسوخاً، اكثر رومانتيكية اما الان، ستخرج لسانك لي، اذا اخبرتك في الدقائق الاولى من العام الجديد، بانني.. اشد مراساً، واعمق تجربة.
وظل عقلي كما هو، ربما ازددت عمقاً لا ادري! احس في جسدي الضعيف نفح الطيب، وضراوة الالم، وعمق الايمان.
ما ارجوه ان اودع كل عام واستقبل كل عام.. ولو على وميض شمعة، احس انها ستراني في العام القادم اشد مراساً.
آه ايتها اللعبة ما زلت اتناثر بين شموعك الفضية.. الى اين؟
ان تلك الصغيرة الصغيرة ترقد الآن وانا اجلس وحدي مع نفسي.. هل من حقي –اسأل- ان استفهم!

١٩٨٠/١١/٢٢

ليست ايامي كلها حزينة.

لقد أوتيت سعادة مدهشة قد يحسدني عليها الكثيرون، القدرة على العزلة المثمرة، الانسحاب الواعي في عتمة داخلية لا اختنق داخلها، قارئاً وصامتاً، منصتاً بشكل حاذق لادق الاصوات وابعدها عن التناول.
انني متفائل كبير، طفل الاحلام التي لا تنتهي، رسام اللوحات التي لا ترتوي من الوان لم توجد قط..عندي غضب يصل حد الشر الابله غير ان في قلبي ايمان العجائز، بان الغد افضل وان المستقبل خارطة لا مكان فيها للبهائم.
هاتان السنتان كم علمتاني: الصمت والحرية، حفظ التميمة المقدسة وصيانتها، كما المحارة داخل القوقعة، كما الحب اليائس المفقود، كما الشفة المنتظرة، والعيون المترقبة.
كنت مع الكثيرين مع اطيب واروع الاصدقاء الكتاب والشعراء الذين اقرأ لهم في عزلتي المفروضة، كنت سعيدا بهم، اولئك الذين كتبوا اروع ما في التراث الانساني في مختلف اللغات.
احس انهم اصدقائي انا الشاعر الصغير في هذا الوطن الدامي، كما كانت صحبتهم غنية وخصبة!
أهو الهرب اذن من نفسي؟
لا ادري، غير ان هذا طريق مسدود.. ان اهرب من وجهي الى عيونك.. ابحث في احزانك عن حزني.
ما اجمل امرأة حزينة تتمثل حزنها السعيد.. ما اظلم حزن رجل ظل يحمل شقاء الاخرين ويحلم بعالم سعيد.. الرغيف للجائع، والفرح في عيون الاطفال، والحرية لكل البشر. انت متعبة، ولكنك سعيدة، فيما يبدو بهذا العذاب.
جميل ان يقتات الانسان احزانه، انها مجرد رقصة عابرة في حلبة الحياة، اما ان يكون العذاب فكراً فتلك قضية اخرى، ان المأساة لا تكمن في ان الانسان، يحيا انها تكمن، يا صديقي، في ان يفكر.. واقسى ما فيها انه لا يستطيع الا ان يفكر.

النهر يجري على الخارطة

قال العراف
سيأتي من آخر أصقاع الدنيا
يقطف زيتوناً من اشجار الصبر
يحيل الرمل ببادر قمح،
يصنع حلوى من ماء البحر
ويعصر من سعف النخل نبيذاً
هز شيوخ الحي لحاهم،
زغردت النسوة
وامتلأت بالضحك وجوه الاطفال،
وهر العميان، سنبصر وجه الدنيا
ومضى العام الاول والثاني والعاشر والـ...
لم يأت إلى الارض نبي،
لم تصدق نبوءة الرؤيا
مات الآباء من القهر،
وأيبست الشمس عيون النسوة
وانطفأ الضحك على الاوجه
واختبأ العراف
❖❖❖
تجمدت اصابع النهار
وصار ماء البحر والانهار
حبرا على خارطة الآثار
والشط والضفاف
والزوارق المنحدرة
جزيرة رملية تحيطها الأسوار
وقلعة صخرية مسوره
❖❖❖
ويزعم الرواة
والكتب المصفرة الممنوعة
ان زماناً مر، كانت ارضنا مزروعة
كان بها نهران
يرويان النخل والاعناب والزيتون والرمان
كانت لنا ملاعبا في ذلك الزمان
يلعب فيها الموج والاشرعة المرفوعه
ويمرح العشاق في ضفافها
ويسبح الصبيان
وتجرح النسيم، من رقتها..، الاغان
❖❖❖
ويذكر الرواة
ويكتب التاريخ
في طبعته المحترقة
عن وطن مغتصب
وأمة ممزقه
مرت بها الخيول
واستباحها الغزاة
وحط فيها الجوع، والطاعون والسبات
سماؤها مظلمة
وأرضها مطوقة،
يمر في دروبها الجياع والحفاة
قلوبهم دامية
أوجهم مزرورقه
ودجلة الخيرات، تبكي مصرع الفرات
❖❖❖
وتذكر الاخبار، ان امرأة في ارضنا الموات
يوما تشهت أحد الرعاة
وانها خضبت الكفين
وذرت الكحل،
ونامت بين ظل النخل والنهرين
وانها في ليلة القدر اتاها أحد الغزاة
ضاجعها ومات
فاثمرت طفلين
طفلا بريء القلب والعينين
ما عاش الا بين ضوء الفجر والصلاة
وقاتلا مخضب اليدين
... وابتدأت حكاية الطغاة
أغلقت الدروب والقلوب والأبواب
وانطبقت نوافذ الشفاه
وانسدت عيون النور
وغاب صبح أشقر، واستيقظ الديجور
فأنزرعت في أرضنا الحراب
وانتشرت في الاوجه البثور
وفاضت القبور
بالدم، ماتت في حقولها البذور
وهاجرت من جوعها الطيور
وانحبس الضياء في العيون،
والغناء في الصدور
وقام في الناس نبي كاذب مغرور
فأزورت القبلة خجلى
وبكى المحراب
❖❖❖
بين درب، ودرب
ترى ظلها أمرأة تعبد المستحيل
لتلقى فتاها الذي قيل ان المتاهة جرته
ان الغواية والعشق اذكت به النار
أعمت خطاه،
وان البساتين مدت له السعف
جسراً الى البحر،
يا للطريق الذي خاضه الطفل
وكيف السبيل؟
بين جرف وجرف تمد الجسور
بين جسر وجسر تلوب الطيور
بين بيت وبيت
تحدق في القادمين القبور
والشموع على الطين مطفأة
والنساء اللواتي جلبن النذور
حرقن الاصابع
فالنهر مرتحل
ورمين البخور
❖❖❖
وظل المهاجر يسأل
هل ابحر النهر في الليل؟
قال الصبي:
سمعنا به مرة مذ ولدنا
وقال الغريب
رأيناه مرة
عبرنا على الجسد
قالوا هو النهر
فاجأنا ان نهرا لديكم
لماذا تغطونه بالجسور؟

ايلول ١٩٨٨

في غابات الصمت

القطار الذي لن يجيء
والشراع الذي لا يلوح
عذبتك المسافات، يا أيها الحلم،
بين الهوى والجروح
هل تغادر عيني، وترحل عني،
فسواء لدي الجراح التي تستفيق بصدري،
ونزف القروح
وسواء هو الورد والشوك،
يا أيها الحلم عند اختلاج المساء
حين تدنو المسافة بين الولادة والانتهاء
وسواء طريق يضم المدائن والأبرياء
وسواء هو الذل والكبرياء
في زمان رديء
❖❖❖
سأدفن تحت الثلوج عظام الضحايا
علها تستفيق
ذات يوم لعل البريق
يعود اليها ويرقص بين عيون المرايا
ولعل الحريق
لم يكن غير رعشة برق تلألأ
فوق الزوايا
❖❖❖
مرحباً أيهذا الخيال الذي لا يمر بعيني
ويا أيها الصوت يدنو،
ويا أيها الوجه يخفي عيون
ان درب المفازة ملح وشوك
واقدامنا تعبت ومدانا بعيد
قد أضعنا مع الليل راياتنا،
ونسينا النشيد
❖❖❖
أي ريح أتتنا لتطفئ ضوء المصابيح في بيتنا،
أي ريح
أي كف دنت لتخض دماء الجريح؟
أنت يا وطني عاشق،
وأنا في ثراك الذبيح..

آب ١٩٨٧